أعلام نساء الكورد من خلال كتاب علماؤنا في خدمة العلم والدين
دراسة تاريخية إسلامية

الدكتور آرام جلال عبدالله
مدرس، جامعة السليمانية، كلية العلوم الإسلامية، قسم التربية الدينية.
aram.omer@univsul.edu.iq

مستخلص البحث:
الهدف من هذا البحث هو إلقاء الضـــوء على دور بعض أعلام نســـاء الكورد, لبيان اســـهاماتهن في الحركة العلمية والفكرية والعلوم التي برزوا فيها والوقوف على نتاجاتهن وآثارهن العلمية والفكرية, وتحديد مجال نشاطاتهن في الحياة العامة, ومشاركتهن في صـــنع الحضـــارة الإســـلامية, وذلك من خلال كتاب (علماؤنا في خدمة العلم والدين للشـــيخ عبدالكريم المدرس), فضـــلاً عن المصادر التاريخيية المختلفة من كتب التراجم والسير والطبقات.
الكلمات المفتاحية: أعلام نســـاء الكورد, كتاب علماؤنا في خدمة العلم والدين, دور المرأة الكوردية, المحدثات الكورديات, الأدييات الكورديات.

Abstruct:
The aim of this research is to shed light on the role of some Kurdish women scholars, highlighting their contributions to the scientific and intellectual movement and the fields of knowledge in which they excelled. The research also examines their scientific and intellectual outputs and their impact, as well as identifying their areas of activity in public life and their participation in shaping Islamic civilization. The research is based on the book "Our Scholars in the Service of Knowledge and Religion" by Sheikh Abdul Karim Al-Mudarris, in addition to various historical sources such as biographies, memoirs, and classificatory works.
Keywords: Prominent Kurdish Women, "Our Scholars in the Service of Knowledge and Religion" book, Role of Kurdish Women, Kurdish Female Scholars, Kurdish Female Writers.

المقدمة
الحمد لله الذي مهّد لنا طريق العلم والمعرفة, والصـلاة والسـلام على المبعوث رحمة للعالمين, سيدنا محمد وعلى آله وصـحبه أجمعين, وبعد:
حققت المرأة الكوردية مكانة علمية عالية على مر عصـور التاريخ الإسـلامي ومراحله, إذ أنَّ رسـالة الإسـلام حثها على طلب العلم, فظهرت نســـاء عالمات في مختلف مجالات المعرفة وفروعها, إذ جلســـت المرأة محدثة وفقيهة كما كانت أديبة وشـــاعرة وطبيبة, تشهد بذلك كتب التراجم ومعجمات المؤلِفين.
فقد ظهرت في المجتمع الكوردي مجموعات من العوائل ذات المكانة العلمية والأهمية الثقافية, شـأنه في ذلك شـأن العواصـم الحضارية الأخرى, وكان من هذه العوائل: ((الأيوبي والدينوري والجزري والهكاري والتيموري والإسعردي والباباني والزهاوي والحيدري والجلي والمزوري والبيرخضري والبرزنجي...)), وغيرها من العوائل العلمية في كردستان أو التي هاجرت كردستان

الى بلاد الشام ومصر والحجاز وغيرها من الأمصار الإسلامية لنشر العلم في هذه البلدان لأنهم كانوا رموز العلم والمعرفة, ومشاركة أسرهم في الجهاد مع القائد صلاح الدين الأيوبي.

وفي العهد العثماني كانت المناطق الكوردية غالباً ما تكون مسرحاً لقتال الجيوش العثمانية مع أعدائها وقد ترك ذلك أثراً واضحاً على الوضع السياسي والعلمي والاقتصادي والحضاري في المنطقة, مما أدى إلى الدمار والتشرد في العديد من نواحي كردستان, ومع هذا الوضع المأساوي السيء برزت عدد من النساء اللواتي كانت لهنّ الأثر البالغ في إثراء المكتبة الإسلامية.

ولكن لا نستيطع في هذه العجالة ومن خلال هذه الوريقات في مؤتمركم الموقر أن نسلط الضوء على جميع هذه العوائل, لذا اتجه اهتمامي لكتاب علماؤنا في خدمة العلم والدين للعلاّمة الشيخ عبدالكريم المدرس (ت:2005م) حيث خصص صفحات من كتابه القيم للتعريف ببعض أعلام نساء الكورد بشكل مختصر, فظهر لي أن أكتب عن ظهور المرأة الكوردية ومكانتها العلمية في التاريخ الإسلامي من خلال هذا الكتاب القيم.

وبعد المطالعة تبيّن لي أن عدد المترجمات بلغ ستة, منهن المحدثة ومنهن من كان لهن دور في الحياة الأدبية كشاعرة وناثرة, وبعضهن ورد ذكر اسمها وسنة وفاتها مع ترجمة مختصرة لها, فعملتُ على جمع تراجمهنّ من كتب الطبقات والتراجم ومؤلفات التاريخ التي اهتمت بأعلام النساء, فحصلت على الجوانب المهمة والضرورية في حياتهن الشخصية والاجتماعية وتخصصاتهن العلمية وأنواع العلوم التي درسنها ودرّسنها وأنسابهن وهجرتهن من الأمارات الكوردية إلى البلاد الإسلامية الأخرى, مما أمكنني توسيع الدراسة في مجال البحث والنظر والاستنتاج, لذا لم يقتصر هذه الدراسة على كتاب علماؤنا في التعريف بهنَّ؛ وإنّما شمل كثير من كتب التراجم المتوفرة ومن أهم هذه المؤلفات التي استفذت منها : مشاهير الكورد وكوردستان في العهد الإسلامي, وفيات الأعيان, معجم البلدان, أعلام النساء في عالمي العربي والإسلامي, دور علماء اسعرد في الحركة العلمية في بلاد الشام ومصر, دينور ومشاهيرها... وغيرها من المصادر والمراجع المشار إليها في قائمة المصادر.

أسباب اختيار الموضوع:

إن المتتبع لإسهامات العلماء الكورد في العالم الإسلامي ودورهم في خدمة العلوم الإسلامية يلاحظ أن ثمة إغفالاً لذكر خدمة أعلام نساء الكورد, بالرغم أنه كانت لعلمائها نصيباً من هذا العطاء, فبيّضت بمواقفها الصحائف، وأعلنت شموخ شخصيتها، من خلال أدوارها المشرّفة في كلّ مجال وحين, فلم تدع فضيلة إلاّ ولها فيها يد، كالفقه والحديث، والشعر والنثر والأدب والسياسة والمشاريع الخيرية وغيرها، ولكن للأسف لم يطّلع العالم ــ والمرأة خصوصاً ــ على هذه الأسرار، حيث ضياؤها مخفيّ في غور المكتبات، وأسماء أعلام نساء الكورد مبعثرة في أوراق المعاجم صارت طعاماً للحشرات والآفات, لذا كان هذا البحث إبرازا للوجه الحضاري المشرق لهذه الكوكبة من أعلام النساء اللواتي أصبحن درساً وقدوة لمن تأتي بعدهن, درساً من تاريخ ذلك الزمن المشرق في مجده وعزته التي كانت المرأة رائدة في جميع النواحي, وقدوة لكل امرأة طموحة واسعة العقل بعيدة المرمى؛ لتعلم أنها ليست في هامش الزمان بل إنها في رأس صفحاته, إذا تيسرت لها الفرصة المناسبة وأتيحت لها الأجواء الملائمة.

وكل ذلك حسب المنهج التاريخي الإستقرائي, وعلى ضوء ذين المنهجين قمت بتتبع واستقراء أسماء هذه الأعلام في كتب التراجم والسير والأعلام والبحوث العلمية, لمعرفة اسمائهن وسنة ولادتهن ووفاتهن والتعريف بأسرهن وذكر شيوخهن وتلاميذهن مع بيان بعض جهودهن العلمية إن وجدت, ورتبت هذه المطالب حسب سنة وفاتهن.

دراسات سابقة: لم أجد دراسة سابقة لعنواني هذا, ولكن من خلال بحثي وجدت كتابين نفيسين في شأن المرأة الكوردية ودورها في التاريخ الإسلامي, أولهما : بعنوان (المرأة الكوردية ودورها في المجتمع الكوردي) للدكتور إبراهيم طاهر معروف الرباتي, والكتاب في الأصل رسالة ماجستير قدمت إلى كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية, بيروت / لبنان, وحازت على درجة جيد جداً , وهو من البحوث القيمة في بيان دور المرأة الكوردية, ويستهدف هذا الكتاب بيان أصل الكورد وطبيعة بلادهم, ثمَّ يركز على حياة المرأة الكوردية قبل الإسلام والمقارنة بينها وبين المرأة في المجتمعات الأخرى, وردّ شبهات المستشرقين وغيرهم حول عصيان المرأة الكوردية للشريعة الإسلامية وعدم إنصياعها لها, كأنها مسلوبة الإرادة في ظل الإسلام, وفي المبحث الرابع والأخير تحدث عن دور المرأة في مجال التربية والتعليم والسياسة والإدارة ثم ذكر أسماء عدد ممن ساهمن في هذه المجالات, وبهذا الشرح يتضح الفرق بين بحثي وهذا الكتاب الموسوعي الجيد, شكر الله سعيه وجزاه الله خير جزاء.

أما الكتاب الثاني فهو بعنوان: (المرأة الكوردية في التاريخ الإسلامي تراجم لأميرات كرديات ومحدثات عالمات), للمؤلف: محمد خير رمضان يوسف, وكتبه سنة 1992م, وهو كتاب جيد بذل الكاتب فيه الكثير من الوقت والطاقة لإخراج أسماء هذه الأعلام من بطون كتب التراجم والسير, ذكر في هذا الكتاب الصغير الحجم أسماء (18) علما من أعلام نساء الكورد بين أميرة أيوبية ومحدِّثة وعالمة, ولم يوسع في ذكرنهن بل ذكر ترجمة مختصرة لهن, فهو يختلف مع بحثي في هذا الجانب أيضاً, وجزاه الله خير جزاء.

ويوجد أيضاً إشارات إلى أسماء شخصيات كرديات في بطون كتب الأعلام والتراجم وبعض المقالات بشكل مختصر.

خطة البحث: فبعد هذه المقدمة قسمت بحثي إلى تمهيد وستة مطالب, فذكرت في التمهيد: ظهور المرأة الكوردية ومكانتها العلمية في التاريخ الإسلامي, ثمَّ خصصت مطلباً مستقلاً لكل علم من هذه الأعلام كالآتي: المطلب الأول في ترجمة: المحدثة شهدة الدينورية (ت: 574 ه), والمطلب الثاني: زينب الإسْعِرْدِي (ت: 705 ه), والمطلب الثالث: عائشة الجزرية (ت: 743 ه), والمطلب الرابع: فاطمة الهكَّارية(ت: 758 ه), والمطلب الخامس: جويرية الهَكَّارية (ت: 783 ه), أما المطلب السادس والأخير: ففي ترجمة حياة الأديبة والشاعرة والناثرة: عائشة التيمورية (ت: 1320هـ) رحمهم الله تعالى, وفي الخاتمة ذكرت أهم النتائج التي توصلت إليه في هذا البحث, مع الإشارة إلى أنَّ ما كتبته في هذا البحث هو غيض من فيض, إذ أنَّ المجال أوسع من ذلك, وأنَّ تراجمهن أكثر من أن يستوعبه هذا البحث .

تمهيد

مكانة المرأة الكوردية في التاريخ الإسلامي

لقد قدّمت المرأة الكوردية الكثير على مدى التاريخ الإسلامي, واستطاعت أن تكون علماً ومنارة تذكر وتنير للنساء طريقاً يهتدين به, حيث شاركن في صنع الحضارة الإسلامية في بداية العهد الإسلامي من عهد الرسالة مروراً بعهد الخلافة ثمَّ الأيوبيين وإلى آخر إمارة من الإمارات الكوردية, وقد نرى ذلك بوضوح من خلال إشارات إلى حياتهن وإسهاماتهن في هذا البحث المتواضع, وإن كان قليلاً من كثير, لكنه تكفي إشارات وإضاءات كي يكشف بعض ما كان عندهن من المآثر .

ومنذ نزول القرآن الكريم وورود أول حديث نبوي شريف؛ بينت حقوق المرأة في جميع مراحل حياتها لرفع شأنها وقيمتها وكرامتها لتصبح في الحقيقة والواقع (شريكة الرجال) و (نصف المجتمع) و(صانعة الرجال) وأخذت بيد المرأة فأخرجتها من جهالتها وعبوديتها وشقائها وبؤسها ومعيشتها الضنكة وقتلها بدون ذنب؛ إلى إنسانة مبصرة واعية تتكلم وتسأل وتستشير وتجادل عمّا يتعلق بحالها وتطالب بالحقوق, ولنا نماذج كثيرة من مشاركة المرأة في المواقف السياسية وإدارة بعض القضايا الإسلامية في عصر الرسالة وفي عصر الخلافة الراشدة وما بعدها, فبذلك أخذت هذه القضايا ومشاركة المرأة فيها طابعاً شرعياً مع وجود أحكام خاصة تتناسب طبيعتها وخصوصياتها, ولكن لا تفاضل ولا تفاوت إلا في طاعة الله وتقواه, (الرباتي, 2004م, ص104).

فأثر الإسلام وتعاليمه واضحة على كل المجتمعات من الناحية السياسية والإدارية, فظهرت المرأة الكوردية كأخواتها من المجتمعات الأخرى, تتحرك بخطواتها الإيجابية كي تقدم ما لديها من مواهب لخدمة المجتمع وبناء حضارتها, وقدم لنا التاريخ قصصاً لنِساء كرديات قدّمن الكثير للإنسانية، فكانت رؤيتهن أعمق وأوسع في إحداث تغيير في عالم السياسة والاقتصاد والعلم والبحث والأدب ومجالات أخرى، وبعضهن أصبحن نماذج يحتذى بها، وتحولن إلى مصدر للإلهام إلى يومنا هذا, فقد أجزن أئمة ومحدِّثين كبار كالإمام الذهبي وابن حجر العسقلاني.

وشاركت المرأة الكوردية في المشاريع الخيرية وبناء المساجد والمدارس وإطعام المحتاجين وفي التاريخ أمثال كثيرة منهن: ستّ الشام بنت أيوب: كان يعمل في دارها من الأشربة والمعاجين والعقاقير في كل سنة بألوف من الدنانير الذهبية وتفرقها على المرضى والمحتاجين, وكان بابها ملجأ للقاصدين ومفزعاً للمكروبين, تعطف عليهم كالأم الرؤوم, وتواسيهم وتخفف عليهم مصيباتهم, وتدفع إليهم المال وتفرق عليهم المعونات بسخاء, (يوسف, 1993م،ص15).

وظهرت المرأة الكوردية في بعض المواقع كمؤرخة والشاعرة وأديبة كالمؤرخة ماه شرف خان المعروفة بـ (مستورة كردستان) حيث مارست كتابة التاريخ وبرعت فيه, واشتهرت كشاعرة عُرفت في قصائد الغزل والرثاء، كما كانت خطاطة بارعة، فجمعت في شخصيتها الجذابة بين الأصالة والنبل والنبوغ وتعدد المواهب والاهتمامات(الرباتي, 2004م, ص189).

وشاركت أيضاً في بعض مواقع وقضايا سياسية وإدارية في عصور مختلفة وذلك (كشيرين الملقبة بـ السيدة) زوجة فخر الدولة الديلمي, فبعد وفاة زوجها استلمت إدارة وسلطة الإمارة, واستمرت ولايتها 30 سنة, و(كخانزاد خان) أميرة السوران بنت حسن بك ظهرت شهرتها بعد تسلّم زوجها سليمان بك حكم الإمارة, وبعد مقتل زوجها استلمت الأميرة خانزاد مقاليد الحكم وبدأت ببناء قلاع كثيرة على حدود إمارتها ومن داخلها, فآثار أعمالها العسكرية والإدارية والتربوية باقية إلى يومنا هذا في ناحية الحرير - عاصمة إمارتها – وما حولها من القرى والقصبات.

و(كعادلة خاتون) زوجة عثمان باشا قائمقام قضاء حلبجة, بعد وفاة زوجها أخذت زمام الأمور الإدارية والسياسية للمنطقة, وكانت لها دور بارز في تعمير المنطقة وقامت ببناء ثلاثة أسواق تجارية في وسط المدينة. (صون، 1926، ص 219).

إن الحديث عن النساء الكورديات عبر التاريخ، من البابانيات والدينوريات والإسعرديات والهكاريات والأيوبيات وغيرهنَّ من اللواتي خلّدن أسماءهن في صفحات التاريخ, بفضل إنجازاتهن وأعمالهن وتضحياتهن، لحديث طويل ومتواصل ومستمر، ففي كلّ

زاوية يجري الحديث عن امرأة أثبتت أنّها قادرة على كتابة التاريخ وصنع الحاضر والمستقبل، وترك بصمة وأثر يدوم أجيالاً متعاقبة.

وإنّ التاريخ الكوردي زاخر بأسماء نساء عالمات في جميع النواحي, ومن خلال هذا البحث اطلعت على أسماء أكثر من (50) عالمة بين محدثة وأميرة وأديبة وشاعرة, والموضوع يحتاج إلى دراسة أشمل وأعمق , وفيما يلي ذكر اسمائهنَّ: ((عذراء بنت نور الدولة الأيوبية, ست الشام بنت أيوب بن شادي, بابا خاتون بنت أسد الدين شيركو, زهرة بنت الملك العادل بن أيوب بن شادي, فاطمة بنت الملك محمد بن الملك العادل بن أيوب, دولة خاتون: زوجة عز الدين محمد أمير لوريتان الصغير, ربيعة بنت أيوب, زمرد خاتون بنت أيوب بن شادي, فاطمة بنت أحمد بن يوسف صلاح الدين الأيوبي, خديجة بنت الملك المعظم عيسى بن محمد العادل, مؤنسة بنت الملك المظفر محمد الملك المنور بن أيوب, أم محمد بنت يوسف الهكاري, قطلومك بنت ناصر الدين محمد بن إبراهيم الأيوبي, جويرية بنت عبد الرحيم بن حسين العراقي, زينب بنت عبد الرحيم بن الحسين العراقي, شمس الملوك بنت ناصر الدين محمد بن إبراهيم, أمة الله بنت العلاء علي بن الشهاب البعلية, ست العبيد بنت محمد, صالحة بنت محمود, صالحة بنت يعقوب بن محمد, فاطمة بنت محمد بن يوسف الكؤراني/أم الحسن, فاطمة بنت محمد بن يوسف الكؤراني, ستيتة بنت محمد بن يوسف الكؤراني, زينب خاتون: زوجة جانبولاد منصور, سرية هانم (سري خانم), نسبت خاتون بنت يوسف الأيوبي, فاطمة بنت مولانا خالد النقشبندي, ماه شرف خان بنت أبو الحسن بك (مستورة الكوردستاني), سيرا خانم الديار بكري, حيران خانم بنت كريم خان النخجواني, مهربان بنت ملا حسين البرواري, زينب بنت الشيخ عبد الكريم (حزينة), عصمت خاتون بنت قاضي محمد, فاطمة بنت أحمد الكوردية, ضيفة بنت الملك العادل محمد بن أيوب الأيوبي, شيرين (السيدة) زوجة فخر الدولة, أم محمد بنت الملك محمد بن خليل, شاناز بنت مولانا يعقوب الأردلاني, خانزاد بنت حسن بك السوراني, شاه خاتون (أم إبراهيم), فاطمة قرة (فاطمة السوداء), عادلة خاتون, حفصة خان بنت الشيخ معروف الحفيد, مينا خانم (زوجة القاضي محمد), أم عصمت بنت نوري بابا علي, روشن بدر خان, ريمة كورد علي, سنية الأيوبي, فاطمة بنت عيسى بن طلحة بن عمر الكوردي, كزيدة خانم زوجة عبدالعزيز يامللك)).

المطلب الأول

شهدة بنت أبي نصر أحمد بن الفرج الدينوري (ت: 574 ه)

المحدثة والكاتبة والخطاطة شهدة بنت أبي نصر أحمد بن الفرج بن عمر الإبري الكاتبة الدينورية الكوردية الأصل, مسندة العراق وفخر النساء, سميت بالكاتبة لجودة خطها, أما تسميتها ببنت الإبَري بكسر الهمزة وفتح الباء الموحدة وبعد الراء ياء مثناه من تحتها, هذه النسبة إلى الإبر التي هي جمع إبرة وكان المنسوب إليها يعملها أو يبيعها.(المدرس,1983م ,232 ؛ابن خلكان, 1970م ,477/2؛ الحنبلي, 1406ه ,248/4).

أولاً: ولادتها ووفاتها: ولدت فخر النساء شهدة في بغداد سنة (482 ه), في أحضان أسرة عريقة برز منها كبار العلماء والأدباء, وتوفيت يوم الأحد بعد العصر في الثالث عشر من محرم لسنة (574ه), ودفن (بباب إبرز), وقد عمرت إذ قاربت المائة, وصلى عليها خلق كثير بجامع القصر ببغداد, وقد شَيّعها المئات من العلماء والفقهاء آنذاك, وأزيل شباك المقصورة لأجلها .(سبط ابن الجوزي, ٢٠١٣ م , 353), (نزهة الجلساء, 1986م, 61).

ثانياً: أسرتها: فقد كان أبوها أبو نصر أحمد الدينوري من قراء القرآن والحديث الشريف, وقد سمعت عليه شهدة الكثير من الأحاديث, وقد توفي عنها في يوم السبت الثالث والعشرين من جمادي الأولى من سنة (506 ه), في بغداد ودفن بباب الإبرز, لأن العائلة كانت تمتلك بباب الإبرز مقبرة عائلية خاصة, فإن شهدة قد دفن هناك أيضاً.

أما زوجها فهو: علي بن محمد بن يحيى أبا الحسن المعروف بثقة الدولة ابن الأنباري, وكان شاعراً وأديبا, وقد أولع بالعلم وبني مدرسة على شاطئ دجلة بباب الأزج -وهي محلة كبيره شرق بغداد فيها اسواق ومحال كثيرة- وبنى إلى جانبها رباطاً للصوفية, وكان يسير الحال ومن الأعيان وكان من المقربين للخليفة بالمقتفي لأمر الله, وكانت لها ابنة تسمى عاتكة, فقد سكنت الكوفة, وكانت من محبي الموسيقى والضرب على العود. (العاملي, 2015م, 257؛ اليافعي: ١٩٩٧م, 4/ 181؛ القيسي, ١٩٩٣م , 1/ 222؛ العسقلاني: 1972 م, 2/ 250 ؛ السيوطي, 1967 م , 1/ 387).

ثالثاً: ثناء العلماء عليها: تلقت مبادئ العلوم من أبيها وعلماء بغداد وهي صغيرة، ثم سمّعها أبوها الكثير وسمعت من كبار علماء الحديث في بغداد، حتى أصبحت مسندة بغداد والعراق دون منازع، تهيأت للمسندة شهدة، البيئة العلمية، والأب العالم الصالح والزوج العالم المتمكن والمنفذ لدى الخليفة، هذه الأسباب جعلت من المسندة شهدة، سيدة نساء عصرها، وانفردت بالإسناد في العراق، وتوجه أهل العلم كبارا قبل الصغار إلى بغداد للسماع منها، حيث اشتهر ذكرها وبعد صيتها في العالم الإسلامي، وأصبحت قبلة طلاب الحديث من كل مكان، كما كان لطول عمرها أثر كبير في السيادة، حيث عمرت ألحقت قرابة مائة سنة، لم

تكن شهدة محدثة وراوية فقط، بل كانت كاتبة مشهورة ببغداد، وخطاطة ماهرة بل من أحسن الناس خطا في بغداد، وظلت تحتفظ بخطها الجميل، إلى ما قبل موتها بسنين.

لو تتبعنا روايات المسندة شهدة في كتب الحديث والتراجم وغيرها، لوجدنا العجب العجاب، حيث قد نشهد لها بأنها من أعظم وأكثر نساء المسلمين بعد عصر - الصحابة الصغار بالكبار، رواية لحديث رسول الله والآثار حيث امتلئت الكتب برورياتها، تحدث عنها خلق كثير من كبار المحدثين وأهل العلم، ومنهم الإمام ابن الجوزي، حيث قال عنها عند ذكر ترجمة والدها: ((والد شيختنا شهدة))، وقال أيضاً: ((فخر النساء الكاتبة))، وقال ابن خلكان: ((فخر النساء... كانت من العلماء وكتبت الخط الجيد وسمع عليها خلق كثير))، وقال السمعانى فى مدحها: ((شهدة بنت الإبري صاحبة الخط الحسن وكانت لها قربة إلى أمير المؤمنين المقتفي لأمر الله يقال لها الكاتبة سمعت أباها))، (السمعانى: ١٤٠٨ه, ٧٣/١)، ((فخر النساء شهدة بنت أبي نصر الكاتبة كانت من العلماء وكتبت الخط الجيد المنسوب على طريقة الكاتبة بنت الأقرع، وما كان من زمانها من يكتب مثلها وسمع عليها خلق كثير وكان لها السماع العالي ألحقت فيه الاصاغر بالأكابر واشتهر ذكرها وبعد صيتها)) (الحنبلي, 1406ه, 8/ 23؛ الصفدي, 2000 م, 15/ 67؛ الذهبي: 1998م, ٥٤٣/٢؛ اليافعي, ١٩٩٧م , 3/ 303؛ ابن خلكان, 1970م ,2/ 477، عزيز : ٢٠١٩م، ٤٣٥).

رابعاً: أبرز شيوخها وتلاميذها:

1- شيوخها:-

- أبوها أحمد بن الفرج الابري (ت: 506 ه).

- طراد بن محمد بن علي أبو الفوارس النقيب الكامل الهاشمي العباسي الزينبي البغدادي, مسند العراق, كان أحد علوم السنة ببغداد, يشد إليه الرحال من كل مكان ويزدحم الطلبة على بابه, وكان صاحب مجالس كثيرة, ومن أعلى الناس منزلة ورتبة عند الخليفة العباسي، سمعت شهدة الدينورية منه (ت: ٤٩١ هـ) وله ثلاث وتسعون سنة.

- عبد الملك بن محمد بن الحسن ابو سعيد السامري, سمع الحديث من علماء عصره، وحدث ببغداد, كان كثير الاهتمام بكسوة وعمارة الحرمين، والنظر في المارستانات في بغداد،وجوامعها وجسورها, كما كان كثير الصدقات على الفقراء والمساكين، وآخر من روى عنه شهدة الدينورية (ت: ٤٩٣ هـ) .

- جعفر بن أحمد بن الحسين بن أحمد بن السراج أبو محمد القارئ، قرأ القرآن الكريم بالقراءات، حتى أصبح أحد الأئمة القراء، سمع خلقا كثيراً من أهل العلم، ورحل إلى الشام ومصر وخرج له الخطيب البغدادي فوائد في خمسة أجزاء، وكان يتكلم في الرجال ومن النقاد، وكان يضيف إلى ذلك الأدب والشعر اللطيف، وألف مؤلفات رائعة وآخر من حدث عنه شهدة الدينورية, وهو صاحب الكتاب المشهور مصارع العشاق (ت: ٥٠٠ هـ), ومن أساتذتها أيضاً:

أبي الخطاب نصر بن أحمد بن البطر (ت: 509ه), أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن طمحة النعالي (ت: 500ه), أبي الحسن علي بن الحسين بن أيوب (ت: 550 ه), أبي الحسين أحمد بن عبد القادر بن يوسف (ت: 499ه), فخر الإسلام أبي بكر محمد بن أحمد الشاشي(ت: 519ه), أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد القادر ,لم أقف على سنة وفاته.(الذهبي: 1404ه ,143-147-؛ الحنبلي: 1406ه, 396/2؛ ابن الجوزي:1992م , 9/117-151).

2-تلاميذها: كانت لها تلاميذ كثيرون من أبرزها:

- عبد المنعم بن محمد بن الحسين أبو محمد الباجسرائي, الفقيه البغدادي، تفقه على ابن المنّي، ولازمه حتى برع في الفقه ودرس الأصول والخلاف حتى برع فيهما، كان فقيها حافظا لمذهب أحمد, سمع الحديث على شهدة الدينورية ببغداد (ت: ٦١٢ هـ).

- عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل، بهاء الدين أبو محمد المقدسي الفقيه الزاهد، سمع من علماء دمشق، ورحل إلى بغداد وسمع بها عن خلق منهم المسندة شهدة الدينورية، وكان فقيها جيدا، ثم أقبل على طلب الحديث وكتب فيه الكثير، (ت: ٦٢٤ هـ).

- عبدالرحمن بن نجم بن عبدالوهاب ابن الشيخ أبي الفرج الشيرازي , المشهور بالناصح الحنبلي, ولد بدمشق وسمع من علمائها, ورحل إلى بغداد, وغيرها من بلاد المسلمين, وسمع من شهدة الدينورية, إنتهت إليه رئاسة المذهب, حضر مع السلطان صلاح الدين فتح بيت المقدس, درس بعدة مدارس في الشام وغيرها(ت:634ه), ومن تلاميذها أيضاً:

الفقيهة عجيبة بنت محمد الباقدارية (ت: 647ه), نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر الكيلاني البغدادي (ت: 633ه),ابن الخشاب (ت: 554ه),أبو القاسم يحيى بن أبي السعود بن قميرة البغدادي, (ت: 650ه), البهاء عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد المقدسي (ت: 649ه), ابن الخير الحنبلي إبراهيم بن محمود سمع الحديث وكتب بخطه كثيراً (ت: 648ه), نياية بنت صدقة بن علي (ت: 629ه), محمد بن الحسن بن علي بن النجار المقري , أبو الحسن الضرير, كان حافظا للقرآن (ت: 617ه),السلامي ابن الجبير محمد بن يحيى (ت: 639ه), أبو الخليل بن صفير أحمد بن أسعد بن علي بن أحمد (593ه).

(الحنبلي: 1406ه, 207/2, 164/51,3/3؛ ابن مفلح:1990م, 78/2- 183؛ الذهبي: 1404ه, 193).

خامساً: آثارها في العلوم الدينية:

كانت شهدة ذات دين وورع وعبادة, سمعت الكثير من علماء الحديث, فضلاً عن سماعها الوعظ والعقيدة والتفسير والأدب والمنطق, يروى إنها جالست العلماء منذ سن الثامنة فقد اصطحبها أبوها إلى مجالس العلم والأدب عمرت نحو قرن من الزمان، وكانت ذات بر ويسار في نقل وإسناد تفسير بعض آيات القرآن الكريم: (ابن خلكان, 1970م , 2/ 477 ؛ 26-العاملي: ٢٠١٥م، 257).

تعد فخر النساء شهدة من العلماء البارزين فى العصر العباسى الثاني في بغداد، وألّفت جملة رسائل في الحديث والفقه والتوحيد ومآثرها كثيرة في أصناف العلوم، ولكن للأسف ضاعت جلها ولم يعثر إلا على مخطوطة واحدة وهي بعنوان: (العمدة من الفوائد والآثار الصحاح والغرائب خرجه تلميذها ابن الأخضر)، وأولت اهتمامها في نقل وإسناد تفسير بعض الآيات القرآنية فقد نقلت حديث قال أبو هريرة (رضي الله عنه) سَمِعْتُ رَسولَ اللَّهِ (صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ) يقولُ: " ما مِن بَنِي آدَمَ مَوْلُودٌ إلَّا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِن مَسِّ الشَّيْطَانِ، غيرَ مَرْيَمَ وابْنِهَا ". ثُمَّ تقولُ: في تفسير قوله تعالى: ﴿أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [آل عمران: 36]، ونقلت تفسير قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ﴾ [الحج: 19]، عن أبي ذر رضي الله عنه : بقوله إنها نزلت في الذين برزوا يوم بدر: حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة رضي الله عنهم. (مهدي- الشريفي: 2019م, 364-383).

أثرها في الحديث النبوي:

فقد كانت لفخر النساء شهدة دور كبير في نقل وإسناد الحديث وتتبع سلسلة السند، وسمع عليها خلق كثير، وكان لها السماع العالي، ألحقت فيه الأصاغر بالأكابر، سمعت من أبي الخطاب نصر بن أحمد بن النضر وأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن طلحة الثعالبي، وطراد بن محمد وآخرين واشتهر ذكرها وبعد صيتها، وكانت ذات بر وخير, وسوف نورد هنا نماذج من الأحاديث المسندة التي نقلتها لنا المصادر وكان أبرزها كتاب سير أعلام النبلاء للذهبي, عن طريق شهدة الكاتبة, منها حديث في الإيمان, باب التوحيد بالله , نقل عنها الذهبي قائلا: ((أخبرتنا فخر النساء شهدة أخبرنا الحسين بن طمحة ...عن سهيل بن أبي صالح عن أبية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((أشهد أن لا اله إلا الله , وأشهد أني عبده ورسوله, من لقي الله بهما غير شك دخل الجنة)) كما نقلت لنا حديث في تفضيل أهل البيت الأثني عشر والنص عليهم, عن قيس بن حازم عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرة على الدين ,عزيزة إلى يوم القيامة)) كما ونقل عنها الذهبي حديث آخر يقسم فيه النبي الأعظم على مكانة أهل البيت ومحبتهم عند الله عز وجل وارتباط ذلك بالإيمان بالله جل وعلا فقال : ((والله لا يدخل قلب رجل الإيمان, حتى يحبكم الله عز وجل, ولقربتكم مني)) كما نقلت لنا فخر النساء حديث احتوى في مضمونه مفهومين الأول تضمن عن أهمية يوم الآخرة والثاني نقل لنا رواية تاريخية عن مقتل عمار بن ياسر رضى الله عنه على يد بغاة بني أمية تسلسل في سنده إلى أم سلمة قالت: ((ما نسينا الغبار عن شعر صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم, وهو يقول: ((اللهم أنّ الخير خير الآخرة , فاغفر للأنصار والمهاجرة)) إذا جاء عمار فقال: ويحك أو ويلك يا بن سمية .. تقتلك الفئة الباغية)). (ابن خلكان, 1970م , 2/ 477, العاملي: 2015م, 257).

ج- الفقه: كان لفخر النساء شهدة أثر ملحوظ في النواحي المختلفة من أحكام الفقه نقلت لنا جوانب فقهيه مهمة فى كثير من أبواب الفقه, فعلى سبيل المثال: إحكام نكاح الحرة على الأمة, أحكام الطهارة, صلاة الاستسقاء وأدبها وخطبها وأحكام البيوع. (مهدي, الشريفي: -2019م, 364-383).

سادساً: نسبتها إلى دِينَور: (دينور) بكسر الدال المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح النون والواو وفي آخرها راء، جاء في كتاب التعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية: مدينة تقع في إقليم (كردستان) قرب قرمسين (كرمانشاه), يعود تاريخ بناء هذه المدينة إلى ما قبل الإسلام, وكانت قائمة في العهد الساساني(عبد الواحد: 1995م, 414/1).

كانت هذه المدينة قاعدة لإمارة بني حسنوية الكوردية، هم سلالة كردية أصحاب الإمارة الكردية التي عرفت بالإمارة الحسنوية (959م - 1015م), التي كانت تضم اجزاء واسعة من شرق وجنوب كردستان, وكانت عاصمتها مدينة دينور (دينَاوار) الكردية التاريخية, الواقعة شمال شرق مدينة كرماشان (كرمنشاه الحالية) في شرق كوردستان, سميت الإمارة بالحسنوية نسبة إلى مؤسسها الأمير حسنويه: حسين زعيم عشيرة البرزيكانية, والذي كان زعيم فخذ وقائد عسكر, صاحب أخلاق عالية وذو همة وازداد سلطانه على البلاد ازديادا كبيرا, وانتقلت حسنوية إلى رحمة الله في الثالث من ربيع الأول عام (369 ه) . (زكي بك, ١٩٤٥م, ؛ الهاشمي، 1975م, 15؛ الروزبياني, 1978, 543).

افتتحت دينور صلحاً, سنة (21ه), في عهد الخليفة عمر (رضي الله عنه), على يد القائد الإسلامي الشهير: أبو موسى الأشعري (عبد الواحد: 1995م, 414/1), وتعد هذه المدينة من أكثر المدن اهتماماً بالعلم وأهله, ومما ساعد على ذلك كرم أهلها,

وتتسم بتخريج واحتضان عدد كبير من أئمة الحديث من الحفاظ والمسندين, على مر العصور, يقول ياقوت الحموي: ((وينسب إلى الدينور جماعة كثيرة من أهل الأدب والحديث)), (الحموي: 1995م , 545/2).

من العلماء الأجلاء المنسوبين إلى مدينة دينور: محمد بن مسلم ابن قتيبة الدينوري: ولد سنة (828 م) في مدينة دينور, كان أبوه يسمى مسلماً بن قتيبة الدينوري, فأصبح من أشياع مدرسة النحاة البصريين في قواعد اللغة, ولابن قتيبة أكثر من أربعين مؤلفا, ومنهم: أبو حنيفة الدينوري: أحمد بن داود بن ونند, ولد في العشر الأول من القرن الثالث الهجري في مدينة دينور, اللغوي الإمام صاحب كتاب (النبات) وكتاب (الأخبار الطوال)وقد توفى في سنة(270 ,271 ,276 ه) على اختلاف بين المؤرخين, ومنهم: أحمد بن جعفر الدينوري, أبوبكر الدينوري, أحمد بن عبدالله الدينوري, أبو الحسن الصائغ الدينوري, ابن الگج الدينوري, ابن خازن الدينوري؛ ينظر تفاصيل تراجمهم في: (الروزبياني, 1978م, 543).

المطلب الثاني

زينب بنت سليمان بن إبراهيم الإسْعِرْدِي (ت: 705ه)

المحدثة المشهورة زينب بنت سليمان بن إبراهيم بن هبة الله بن رحمة الإسْعِرْدِي(المدرس,1983م, 215).

أولاً: ولادتها ووفاتها: لم يحدد العلماء تاريخ مولدها، بل لم يتطرقوا إليه أصلاً في ترجمتها، ولكنها على العموم قد ولدت في أواخر الربع الأول من القرن السابع الهجري, وتوفيت في ذي القعدة سنة 705ه, وقد تجاوزت الثمانين. (اليافعي: ١٩٩٧م, 242/4؛ السيوطي, 1967 م, 387/1).

ثانياً: أسرتها: هي ابنة المحدث الفقيه الخطيب الزاهد أبي الربيع سليمان بن إبراهيم بن هبة الله بن رحمة الإسعردي. و"رحمة" هو اسم أم جده، وبها قد عُرف جده؛ وقد ولد سليمان الإسعردي سنة (567ه /1117م)- بإسعرد، وهو من مشاهير المحدثين في بلاد الشام ومصر في العهد الأيوبي, ورحل من أسعرد طلباً للحديث فسمع بدمشق, وسمع وتخرج على يد أبرز المحدثين هناك، ثم انتقل إلى مصر وسمع الحديث في القاهرة والإسكندرية أيضاً من خيرة المحدثين الموجودين في المدينتين , منهم: الحافظ عبد الغني المقدسي مدة، وتخرج به، وسمع منه الكثير، وكتب بخطه كثيرًا. (الحنبلي, 1406ه, 12/6, السيوطي, 1967م, 387/1).

وكان كثير الإفادة حسن السيرة وتخرج على يده العديد من المحدثين وسمع منه وروى عنه الكثير, ولم يبخل على ابنته زينب بعلمه؛ إذ إنه قد أسمعها الكثير -حسب قول المؤرخين. وقد سئل عنه الحافظ الضياء فقال: خيّر ديّن ثقة, وأقام في أواخر حياته ببيت لهيا، وتولى الخطابة والإمامة بجامعه إلى أن توفي فيها.((العسقلاني, 1972م ,119/2).

ثالثاً: شيوخها وتلاميذها:

شيوخها:

1- الشيخ الإمام الفقيه الكبير مسند الشام: سراج الدين ابن الزبيدي, الحسيْن بنُ المبارك بن محمَّد الربعِي, سمعت منه صحيح البخاري, توفي في:23 من شهر صفر سنة631هـ.

2- شمس الدين أحمد بن عبد الواحد البخاري, (ت: 623 هـ).

3- أبو بكر بن يُوسُف ابْن عبد الْعَظِيم بن يُوسُف بن عَليّ بن دَاوُد الْمُنْذِرِيّ الْمصْرِيّ, الْمَعْرُوف بِابْن الصباح (ت: 741 هـ).

4- علي بن حجاج السلفي:(ت: 637هـ).

5- أبي المنجى بْنِ اللَّتِّيِّ البغدادي(ت: 635هـ).

6- وأجاز لها أبو محمد الجوهري التاجر البغدادي المعروف بابن الأهوازي.

تلامذتها:

1- شيخ الإسلام تقي الدين السبكي(ت: 756 ه).

2- شمس الدين الذهبي صاحب السير (ت 748 ه).

3- عماد الدين أبي عبد الله الدمياطي الشيخ الفرضي الإمام المحدث وتوفي رحمه الله تعالى بالقاهرة في طاعون مصر في سابع جمادى الأولى سنة (749 ه).

4- أبو عبد الله شمس الدين الغزولي, توفي فِي أَوَائِل سنة(777 ه).

5- وسمع الشيخ العادل المقرئ الفاضل نور الدين علي بن عثمان منها من الخلعيات.

6- ومن كبار رجال الدولة الذين سمعوا منها أحمد بن خضر بن عبد الرحمن الشافعي، وهو أحد موقعي الدست.

7- وممن سمع منها شمس الدين أبو عبد الله محمد بن علي المعروف بابن الأطروش, وقد زكرها الإمام السيوطي في (حسن المحاظرة) في باب : (ذكر من كان بمصر من المحدِّثين الذين لم يبلغوا درجة الحفظ والمنفردين بعلوِّ الإسناد) (السيوطي: 1967م,1/ 387 ؛ البرزالي: 2006م, 3/ 313 ؛ الصفدي, 2000م ,15/ 42 ؛ العسقلاني, 1972 م ,119/2).

رابعاً: نسبتها إلى إسعرد: ورد اسم مدينة إسعرد بصيغ عديدة في كتب البلدانيين والرحالة (إسْعِرْد)، ويقال لها -أيضًا: سِعِرْت، وسعرد، وساعرد, وهذا أمر بديهي في كتابة الكلمات غير العربية لدى كتاب العرب, وظلت صيغة (أسعرد) هي الأكثر شهرة, أما الصيغة الكوردية لأسم تلك المدينة فهي (سيرت: sert)ولحد يومنا هذا, وتم تثبيتها في المدونات الرسمية للدولة التركية بهذا الاسم, أما موقعها الجغرافي: فهي تقع في شمال شرق بلاد الكورد (كوردستان) في أرض خصبة مرتفعة ما بين الرافد الشرقي لنهر دجلة المسمى بهتان صو (ولقربه من المدينة تعرف أحياناً بسعرد صو) من جهة جنوب الشرق وبين نهر بدليس من جهة شمال الغرب اللذان يصبان في نهر دجلة في جنوب المدينة، وفي شمال المدينة تبدو للعيان جبال بدليس العالية.

تعد أسعرد (سيرت) من المدن العريقة في شمال بلاد الكورد، إذ ترجع تاريخ بنائها إلى عصور ما قبل الإسلام وكانت تلك المدينة قبل الفتح الإسلامي ومع المدن الكوردية الأخرى في إقليمي أرمينيا والجزيرة محل نزاع وحروب طاحنة بين الساسانيين والبيزنطين بل كانت تلك المدينة تقع ضمن خط المواجهة الشبه دائمة بين الطرفين أثناء صراعهما على المنطقة. (البابيري: دور علماء اسعرد 2017م, ص1045-1060).

تم فتحها حوالي سنة (20ه/642م) مع المدن الكوردية المجاورة صلحاً في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب(13-24ه /634-644م) على يد القائد عياض بن غنم, فأصبحت المنطقة بما فيها مدينة أسعرد (سيرت) تحت حكم القوى والإمارات والدول الإسلامية المتعاقبة حتى الغزو والاجتياح المغولي للمنطقة في منتصف القرن السابع الهجري, الثالث عشر الميلادي.

وكانت تسكن مدينة أسعرد (سيرت) وأطرافها في العصور الإسلامية الأولى قبيلة(الحاربختي) الكوردية إذ كان الكورد يشكلون غالبية سكانها, ويأتي بعدهم النصارى من الكلدان والطوائف الأخرى, مع وجود العرب في المدينة وبعض القرى التابعة لها, وهي بلدة انتسب إليها الكثير من العلماء والساسة والأدباء, واستوطن الكثير منهم في بلاد الشام ومصر وصاحبة الترجمة تنتسب إلى هذا المكان, وقد ذكر الزبيدي أنها قرية بالشام, وليس الأمر كذلك. (الزبيدي, تاج العروس من جواهر القاموس, 1965م, 8/ 206).

أزدهر علم الحديث في بلاد الشام ومصر خلال حقبة الدراسة، وبرز في تلك الحقبة في الإقليمين علماء أعلام من أصول كوردية في هذا الحقل وكان بينهم العديد من الأسعرديين المحدثين ممن علا شأنهم وطار شهرتهم منهم المحدث سليمان بن إبراهيم بن هبة الله بن رحمة (أبو الربيع) (ت 639ه /1241م).(الإسعردي, 2017م, ص1045-1060).

المطلب الثالث

عائشة بنت محمد بن يحيى الجزري (ت: 743ه)

المحدثة عائشة بنت محمد بن يحيى بن بندر بن يعيش الجزري الصالحية.(المدرس, 1983م, 263).

أولاً: ولادتها ووفاتها: تاريخ ومكان ولادتها غير معروف, وتوفيت بصالحية دمشق في منتصف شهر ربيع الأول سنة (743 ه) ودفنت من الْغَد بتربة موفق الدّين. (ابن رافع: 1402ه, 1/ 423, كحالة, 1959م, 190/3).

ثانياً: أسرتها: أبوها: محمّد بن يحيى بن بدر بن محمّد بن يعِيش الْجزرِي ثمَّ الصالحي النساج ولد في حدود سنة(654 ه أو 655 ه)؛ وأحضر على جده فِي الثَّانِيَة واسمع على ابْن عبد الدَّائِم وعبد الوهاب ابن الناصح وابن أبي عمر والفخر وغيرهم سمع منْهُ البرزالي وذكره في معْجمه وقَال مات في شهر صفر سنة(708 هـ), وهو أَخُو الإِمَام المقرىء المجود شهاب الدين أحمد بن يحيى بن محمد بن بدر الجزري الأصل الدمشقي الصالحي الإمام الفقيه شهاب الدين الزاهد أبو العباس الحنبلي ولد في حدود (670 هـ), هكذا ترجمه الذهبي وقال: صاحبنا ورفيقنا في الطلب قرأ القراءات على الشيخ جمال الدين البدوي ولزم الشيخ مجد الدين مدة يبحث عليه ومهر في الفن واقرأ بسفح قاسيون وأصول الفقه وصحب الشيخ شمس الدين ابن مسلم مدة وانتفع به وهو من خيار الناس دينا وعقلا وحياء ومروءة وتعففا يعيش من التسبب, وقد سمع من أصحاب ابن طبرزد وغيرهم وحدث بالأول من أفراد ابن شاهين عن جده قرأ عليه تجويدا جماعة وحدث وكان قوالا بالحق زاهدا ومات في ربيع الأول سنة(728 هـ). (ابن حجر: الدُّرر الكامنة, 1972م, 6/ 36؛ الذهبي, معجم الشيوخ 1988م, 300/2).

ثالثاً: شيوخها وتلاميذها:

1-شيوخها: سمعت على الفخر علي بن البخاري مشيخته حضوراً: وحَدثَّتْ بها عنه, وهو: (المسند فخر الدين ابن البخاري علي بن أحمد بن عبد الواحد بن أحمد الشيخ الصالح الورع المعمر، العالم مسند العالم، فخر الدين أبو الحسن ابن العلامة شمس الدين أبي العباس المقدسي الصالحي الحنبلي المعروف والده بالبخاري؛ ولد في آخر سنة خمس وتسعين وخمسمائة، وتوفي سنة تسعين وستمائة: 690 هـ). (العسقلاني, 1972م, 3/ 5).

2-تلاميذها: للأسف لم أقف على أسماء تلاميذها.

رابعاً: نسبتها إلى جزيرة بوتان (جزيرة ابن عمر):

جزيرة بوتان تقع الآن في أقصى جنوب شرق تركيا, على بعد (45) كم من مدينة زاخو في كوردستان العراق، شمال الموصل، وجاء اسمها من العشيرة الكردية التي كانت تحمكها وهي عشيرة (بوتان), وغلبت عليها تسمية "جزيرة ابن عمر" في المصادر العربية, بينما اكتفى الأتراك بتسميتها مدينة " الجزرة" فقط, وتُسمّى بالجزيرة: لأنها تحيط بها دجلة من كل جانب إلاّ جانبا واحداً، فالماء يحيط بالمدينة من جميع جوانبها.

ورد في المصادر التاريخية: أن جزيرة ابن عمر مرت بمرحلتين من المراحل في عمرها، مرحلة قديمة ومرحلة جديدة فالجزيرة القديمة عبارة عن مدينة صغيرة، متصلة بجبل ثمانين وباسورين, عند الجبل الذي منه جبل الجودي، أما الجزيرة الجديدة، فإنها مدينة كبيرة واسعة حسنة, وفي المصادر العربية كان تشييدها في حدود سنة (200ه-815م) في خلافة الأمين والمأمون, وإنّ مؤسسها هو "أوس وكامل ابني عمر بن أوس التغلبي", (حموي, 1995 م،2 /441 , عزيز:2019م, 287),

ومن المدن التابعة لها: دارا، وبازبدي وباقردي، بازبدي في غربي دجلة وباقردي في شرقها، وهما من أجمل البلاد, حتى أن الشعراء غنوا بجمالها، وبنى هارون الرشيد فيها قصرا منيفا. (عزيز: 2019م, 287).

الجزيرة والإسلام: تم فتحها حوالي سنة (17 ه) صلحاً, في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه), على يد الصحابي الجليل عياض بن غنم (رضي الله عنه), وكانت أسهل البلدان فتحا على المسلمين.(عبد الواحد: 1995م , 532/2) .

لقد أصبحت جزيرة ابن عمر من المراكز الثقافية المهمة في منطقة الجزيرة الفراتية، وكانت لا تقل أهمية ونشاطاً عن المدن المجاورة لها، بل قصدها العلماء والأدباء والشعراء وخرجت العديد منهم في مختلف الاختصاصات، فكانوا على جانب كبير من المعرفة العلمية، ولهم تأثير ثقافي على العالم الإسلامي, من المدارس والمركز العلمية المشهورة فيها: مدرسة نظام الملك، وهي مدرسة كبيرة، وتغير اسمها في القرن السادس الى مدرسة رضي الدين.

ومن البيوتات المعروفة في جزيرة ابن عمر: بيت بني ندي، وبيت الأثير، وبني وهبان, ومجد الدين, وأبو العز بن إسماعيل الرزاز, وابن البرزي, وبيت الملا رمضان البوطي وغيرهم، فكان لهم دور مهم في حركتها العلمية فقال عنهم ابن خلكان إنهم : " من أعيان أهلها". (ابن خلكان، 1970م،1 / 445؛ الزركلي، 1997م، 6/ 282, عيسى: 2022 م, من ص 49 إلى 71).

وتخرج منها الكثير من العلماء الأجلاء, منهم: ميمون بن مهران (ت: ١١٦هـ)، عبد الكريم بن مالك الجزري (ت: ١٣٧هـ), عمرو بن ميمون بن وجعفر بن برقان(ت: ١٥٤هـ)، معقل بن عبيد الله (ت: ١٤٥هـ), موسى بن أعين بن خمدسق (ت ١٧ هـ)، محمد ابن سلمة (ت: ١٩١هـ)، أبو الحسن بن عبد الملك بن عبد الحميد (ت: ٢٧٤هـ)، محمد بن أحمد بن رمضان (ت: ٧٥٨هـ)، فاطمة ابنة أحمد بن محمد (ت: ٧٦٦هـ). (ابن خلكان، 1970م،1 / 445؛ الزركلي، 1997م، 6/ 282, عيسى: 2022 م, من ص 49 إلى 71).

المطلب الرابع

فاطمة بنت إبراهيم بن داود الهكَّاري (ت: 758 هـ)

المحدثة فاطمة بنت إبراهيم بن داود بن نصر الهكَّارية الكوردية, (المدرس,1983م, 431)

أولاً: ولادتها ووفاتها: ولدت سنة (683 هـ),وفي بعض المصادر أنها ولدت سنة (693هـ) وتوفيت في يوم الجمعة, ثاني عشر من شهر رمضان سنة (758 هـ) بدمشق.(كحالة: 1959م, 24/4).

ثانياً: أسرتها: أبوها إبْرَاهِيم بن دَاوُد بن نصر الهكاري الكوردي الدِّمَشْقِي الْمَقْدِسِي المقرىء الزَّاهِد أَبُو مُحَمَّد ولد فِي حُدُود (640 هـ) وَقَرَأَ بالروايات على الخابوري بحلب وَأَقَام بحماة مُدَّة وأقرأ القراآت بِدِمَشْق مُدَّة ثمَّ لزم بَيته وَانْقطع وَكَانَ كثير التَّعَبُّد والتواضع حسن الْخلق قَرَأَ الْقُرْآن بِجَامِع دمشق مُدَّة وَقد سمع أَكثر مُسْند أَحْمد على الشَّيْخ شرف الدّين الْأَنْصَارِيّ وَحدث عَنهُ بِجُزْء ابْن عَرَفَة سمع مِنْهُ البرزالي, توفي بدمشق ودفن بها سنة (712 هـ)» (العسقلاني, 1972 م, 1/ 27, ,السلفي، الدوسكي، 2008 م , 395/1).

وأخوها كان العلامة: محمَّد بن إبراهيم بن داود بن نصر, شمس الدين أبو عبدالله الكوردي الهكاري, ثمَّ الدِّمَشْقِي الشَّافِعِي, ولد سنة (685ه) وَسمع من التقي الوَاسِطِيّ والشرف ابْن عَسَاكِر وَغَيرهمَا وَولي نظر الصَّدقَات الْحكمِيَّة وَأم بمشهد عَليّ بالجامع الْأَمَوِي وَكَانَ يحفظ التَّنْبِيه ويتورع, ويفتى, وَمهر فِي صناعَة الْحساب وَمَات فِي تَاسِع من ذِي الْقعدَة سنة (759هـ), وَآخر من حدث عَنهُ بِالْإِجَازَةِ عبد الرَّحْمَن ابْن عمر القبابي الْمَقْدِسِي. (العسقلاني, 1972 م, 5/ 2): ,السلفي، الدوسكي، 2008م , 455/1-456).

ثالثاً: شيوخها وتلاميذها:

1-شيوخها: سمعت على الفخر علي بن البخاري مشيخته حضوراً: وحَدثَّتْ بها عنه, وهو: (المسند فخر الدين ابن البخاري علي بن أحمد بن عبد الواحد بن أحمد الشيخ الصالح الورع المعمر، العالم مسند العالم، فخر الدين أبو الحسن ابن العلامة شمس الدين أبي العباس المقدسي الصالحي الحنبلي المعروف والده بالبخاري؛ ولد في آخر سنة خمس وتسعين وخمسمائة، وتوفي سنة (690هـ). (العسقلاني, 1972م, 4/ 258).

2-تلاميذها: وسمع منها الحافظ العراقي وهو الإمام عبدالرحيم العراقي (ت 806هـــ) شيخ ابن حجر, مخرّج أحاديث إحياء علوم الدين, فهي بهذا محدثة كبيرة, وأجازت لعلماء كبار, منهم: الشيخ القبابي، هو يحيى بن يحيى بن أحمد بن الحسن المحيوي أبو زكريا القبابي، الشيخ العالم المحدث الفقيه الواعظ، ولد سنة 761ه, وتوفي في دمشق سنة 840هـــ, (العسقلاني, 1972م, 4/ 258؛ والزركلي: الأعلام، 2002م، 8/ 176- 177. ؛ زكي بك, 1947 ,246/2؛ سلفي-دوسكي: 2008م, 455/1). للأسف لم نقف على معلومات لمؤلفاتها.

رابعاً: نسبتها إلى الهكاري: إنَّ تسمية إمارة هكاري أو بلاد هكاري، هذه البقاع أو البلاد أو المنطقة كانت معروفة بهذا الاسم في العصور الإسلامية، تطابق تماما رقعة منطقة بادينان الحالية, التي تشمل دهوك والعمادية وزاخو وعقرة والمناطق الزيبارية والسورجية؛ بالإضافة إلى بعض المناطق الواقعة في الجزء الجنوبي الشرقي من تركيا الحالية. (حيدر - إبراهيم: 2019م, 77) .

وأنَّ تسمية الهَكّارية (بفتح الهاء وتشديد الكاف) نسبة إلى اسم العشيرة الكوردية التي كانت تعيش قديماً في جنوب بحيرة وان, وتجدر بالإشـــارة إلى أنَّ هذه التســـمية تطلق حالياً على إحدى ولايات الجمهورية التركية, وهي ولاية هكاري. (حيدر - إبراهيم: 2019م, 77) .

وقد أورد ياقوت الحموي في معجم البلدان عن الهكارية قوله: ((بلدة وناحية وقرى فوق الموصـــل في بلد جزيرة ابن عمر سكنها الأكراد يقال لهم الهكارية)), (الحموي، 1995م، 5 / 408),ولم يحدد البلدانيون والمؤرخون حدود بلاد الهكاري من الجهة الغربية, ولكن يمكننا القول استناداً على ما قاله ياقوت الحموي: بأنَّ الهكارية كانت بقلاعها وحصونها من مدينة جزيرة ابن عمر, أما حدود بلاد هكاري مِّن الجهة الشرقية والشمالية ونظراً لعدم ذكر المصادر التاريخية لأية إشارة إلى حدود هذه البلاد مِّنَ الجهة الشمالية والشرقية فيمكن اعتماداً على ما ذكرته مصادر متأخرة أنْ نعد باش قلعة (باشكال) وبحيرة وان بمثابة الحدود الشمالية لبلاد الهكاري. (هروري، 2005 م, 18 - 19).

وبعد قراءة ودراسة الرسائل والبحوث العلمية في جمع وسرد أسماء العلماء المنسوبين إلى بلاد الهكاري, ظهر لنا أنَّ هذه المنطقة من كوردســـتان, كانت مزدهرة من النواحي العلمية والثقافية في القرنين الســـابع والثامن الهجريان بصـــورة ملحوظة, وأنجبت علماء أجلاء يشـــار إليهم بالبنان في تلك الحواضـــر من العالم الإســـلامي, وأنَّ أكثر علماء هذه المدينة هم من علماء أهل الحديث وأئمتهم, لأنَّ هذه المدينة كانت متخصصة بتخريج علماء الحديث, ومنهم: علي بن أحمد بن يوسف(ت:486ه),عبدالله بن حسن بن محمد (ت:652ه), محمد بن أبي الزهر بن سالم (ت:737ه), أحمد بن أحمد بن أحمد بن الحسين بن موسى بن موسك الكردي(ت:763ه)، أحمد بن أبي بكر بن أحمد شهاب، أبو العباس الهكاري،الكردي الشافعي (ت: 818 هـــ), ولمعرفة أسماء العلماء المنسوبين إلى بلاد الهكاري, ينظر: (عزيز: 2019م , 303؛ العلماء المنسوبون إلى الهكاري, حيدر - إبراهيم: 2019م, 77).

المطلب الخامس

جويرية بنت أحمد بن أحمد بن الْحُسَيْن الهَكَّاري (704ه-783ه)

العالمة المحدثة المشهورة جويرية بنت أحمد بن أحمد بن الْحُسَيْن بن موسك بن مُوسَى, وكنيتها: أم الهنا، ويقال: أم البِرّ، و: أم أبيها. (المدرس,1983م, 140).

أولاً: ولادتها ووفاتها: ولدت بالقاهرة في الرابع من شهر رمضان سنة: (704 هـــ), وتوفيت رحمها الله في ثاني عشر صفر سنة: (783 هـ), ودفنت بالقاهرة. (الحنبلي, 1406ه, 482/8؛ العسقلاني,1969م, 68/2؛ أبو المحاسن,1972م, 11/ 221) .

ثانياً: أسرتها: نشأت العالمة جويرية في بيت العلم والدين فوالدها: الشيخ المحدث شهاب الدين الهكاري الكوردي الأصل أحمد بن أحمد بن الْحُسَيْن بن مُوسك بن جكو, قال الصفدي فيه: ((كان شيخ الإقراء بمدرسة المنصور بالقاهرة، ونال بذلك النجوم الزاهرة، ونزل له قاضي القضاة موفق الدين الحنبلي عن مشيخة الحديث بالمنصورية فباشرها, أخبرني الشيخ تقي الدين بن رافع أنه كتب الكتب الستة، وطبقات ابن سعد، وكثيراً من أجزاء الحديث، وعلّق منها ما هو قديم، وما هو حديث، وتوفي رحمته الله تعالى ثاني عشر جمادى الأولى سنة خمسين وسبع مائة بالقاهرة, وتوفي عن ست وسبعين سنة)).

أما أخوها: أبو سعيد أَحْمد بن أَحْمد بن أَحْمد بن الْحُسَيْن بن مُوسَى بن موسك الكوردي الأَصْل الهكاري الشيْخ شهَاب الدين أَبُو سعيد بن الشهَاب أبي الْحسنسمع من ابْن الصَّواف ووزيره وعني بطَلَب الحَديث، قَالَ الْحَافِظ أَبُو الْفضل بن حجر وكانَ عارفاً بالرِّجال جمع كتابا فِي رجال الصحِّيحَيْنِّ مَوْصُوفا بالدين وَالْخَيْر مَاتَ فِي ثامن جُمَادَى الأولى سنة ثَلَاث وَستين وَسَبْعمائة.

أما أختها: فهي المحدثة الكبيرة والعالمة الفاضلة (أسماء بنت أحمد بن أحمد بن الحسين بن موسك الهكاري, ولدت سنة (715ه)أي أنها الأخت الصغيرة لجويرية وتصغرها بإحدى عشرة سنة, وتوفيت سنة (770ه), وأحضرت علي بن إدريس بن مزيز الحموي المسلسل أنا الصدر بالأولوية - ولمعرفة معنى الحديث المسلسل بالأولية ينظر: كتاب المسلسلات المختصرة المقدمة أمام المجالس المبتكرة - , ومجلساً في فضل رمضان لابن عساكر، أنا مكي بن علان، وحدثت بالقاهرة وسمع منها أبو حامد ابن ظهيرة بعد السبعين وسبعمائة. (العسقلاني, ١٩٧٢م, 428/1؛ السخاوي, 1992م, 211/7؛ السلفي، الدوسكي, 2008 م, 421/1).

ثالثاً: شيوخها وتلاميذها:

1-شيوخها: تتلمذت المسندة والعالمة الجليلة جويرية بنت أحمد الهكارية علي كبار شيوخ وأعلام عصرها، منهم:

شِّهَابُ الدِّينِّ أَبُو الْعَبَاسِّ أَحْمَدُ بْنُ أَبِّي طَالِّبِّ بْنِّ نعْمَةَ بْنِّ حَسَنِّ بْنِّ عَلِي بْن بَيَان الدِيْرُمَقْرَنِّيُّ ثم الصالِّحِّيُّ الْحَجَّارُ الْمَعْرُوفُ بابْنُ الشِّحْنَة. سمعت صحيح البخاري عليه نحواً من ستين مرة, توفي سنة (630ه)بقاسيون –دمشق, ست الوزراء (وزيرة) بنت عمر ابن المنجى التنوخي. فسمعت عليه ثلاثة مجالس من أمالي الخطيب البغدادي، والجزء الخامس من فوائد أبي القاسم عبد الرحمن الدمشقي، وكذلك الجزء الثالث عشر منها، وسمعت صحيح البخاري من مسند الوقت الحسين الزبيدي توفيت في شعبان سنة (716 هـ), أبي الحسن بن الصَّواف توفي في رجب سنة (712 هـ) وقد قارب التسعين, علي بن عيسى بن القيم (ت: 710 هـ), علي بن محمد بن هارون الثعلبي (ت: 712 هـــ), وسمع من الشريف موسى ابن علي الموسوي صَحِيح مُسلم, الْحسن بن عمر الكوردي (ت: 720 هـ), الْجلَال ابْن الطباع(ت: 718 هـ) .

2-تلاميذها:

إبراهيم بن محمد بن خليل، الشيخ الأمام الحافظ برهان الدين أبو إسحاق الحلبي سبط ابن العجمي(ت:841ه), علي بن محمد بن موسى بن منصور: نور الدين أبو الحسن المحلي المدني سبط الزبير الأسواني(ت:838 هـــ), محمد إبراهيم بن عبد الحميد بن علي تقي الدين الموغاني الأَصْل الْمدنِّي نزيل مَكة وَيعرف بِّابْن عبد الحميد(ت: 816 هـــــ) ودفن بالمعلاة، وقد بلغ السبعين أو قاربها, يوسف بن علي بن أحمد بن قطب الجمال بن النور السيوطي ثم القاهري الشافعي نقيب القراء وابن نقيبهم(ت: 856 هـــ), (السخاوي, 1992م, 197/5؛ الذهبي, 1998م , 292/1).

رابعاً: جهودها في علم الحديث:

عرف عنها كما تقدم رواية صحيح الامام النسائي، ومسند الامام الحميدي، ومستخرج الإسماعيلي، وجزء سفيان الثوري، والبعث لأبي داؤد، وصحيح الامام مسلم، وصحيح الامام البخاري، ومسند عبد بن حميد وسنن الدارمي، والأربعين للطائي، والعقل لداؤد بن المحبر، ومجلسين من أمالي الحرفي، والثالث من فوائد أبي علي بن خزيمة؛ ويلاحظ من هذا الاستعرض بوضوح أن هذه العالمة الجليلة استوعبت ثلاثة من الكتب الستة في الحديث باستثناء الترمذي وأحمد وابن ماجة فضلاً عن روايتها مسانيد وأجزاء مهمة .

وهذه المسموعات تعتبر بمثابة شهادة تميز بما تحصلت عليه من هذه العلوم الحديثية المعتمدة, ومما تميزت به هذه العالمة الجليلة أنها عمرت، حتى تفردت برواية سنن النسائي، وحدثت بالكثير من مسموعاتها واجتمع عندها طلاب العلم، وأخذ عنها الأئمة والحفاظ في عصرها.

يقول ابن حجر العسقلاني:"وحدثت بمسموعاتها مرارا وعمرت فأكثروا عنها، وسمع منها بعض مشايخنا وكثير من أقراننا". ومما يدل على جهودها في العلم الحديث ما تركته من آثار علمية، متمثلة في هؤلاء العلماء الذين أخذوا عنها علم الحديث سماعاً، ومن العلماء الذين أخذوا من مسموعاتها: أَحْمد بن عبد الْخَالِّق بن عبد المحيي بن عبد الْخَالِّق الشهَاب بن السراج الأسيوطي ثمَّ القاهري الشافِّعِّي نزيل الناصرية؛ زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي الأصل، المهراني المولد، المصري الشافعي؛ أَحْمد بن عُثْمَان بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله الشهَاب أَبُو الْفَتْح الْكرمَانِّي الأَصْل القاهري ا لحَنَفِّي الْمُحدث وَيعرف بالكلوتاتي.؛ علي بن محمد بن موسى بن منصور؛ تمام الإمام الحافظ محدث الشام أبو القاسم بن أبي الحسين محمد ابن عبد الله بن جعفر المروزي. (عبد المجيد: محدثات مصر, العدد السادس عشر, من صفحة 1803 – 1870؛ السخاوي, 1992م, 337/1؛ العسقلاني,2/ 97, ١٩٧٢م؛ كحالة, 1959م, 226/1, العسقلاني, ١٩٦٩م ,1/ 245؛ الحنبلي, 1406 هـ, 8/ 482).

خامساً : نسبتها إلى الهكارية : سبق التعريف بولاية الهكاري في المطلب الرابع.

المطلب السادس

عائشة عصمت بنت إسماعيل باشا تيمور (ت: 1320هـ)

الأديبة والشاعرة المشهورة عائشة عصمت بنت إسماعيل باشا تيمور بن محمد كاشف تيمور, لفظ (تيمور) الملقَّبة بها هذه الأسرة لفظٌ تركيٌّ معناه الحديد، والأتراك يقولون فيه أيضًا «دمير ودمور» . (كحالة, 1959م ,162/3 - 179, العاملي, 2015م, 497-517 ؛ المدرس,1983م, 262).

أولاً: ولادتها ووفاتها: ولدت السيدة عائشة سنة(1256هـ الموافق 1840م), في أحد أحياء القاهرة المسمّى الدرب الأحمر الذي يعرف باسم "درب سعادة"، وكانت هذه المنطقة في هذا الوقت مكان يضم الطبقة الأرستقراطية والعائلات العريقة، وكان والدها إسماعيل باشا تيمور مسؤول حكومي رفيع المستوى في عهد الخديوي إسماعيل، فقد كان رئيس قلم الخديوي (هذا المنصب يعادل منصب وزير الآن)، ثم أصبح رئيس عام لديوان الخديوي، وكان تركي من أصل كردي, وفي السنوات الأخيرة من حياة الشاعرة والكاتبة عائشة التيمورية، عانت من التهاب في العين، وهذا ما جعل الكتابة صعبة عليها، وفي عام 1898م أصيبت عائشة بمرض في المخ، وظلت على هذا الوضع لمدة أربع سنوات حتى توفيت في القاهرة في(23 من المحرم 1320هـ الموافق 2 من مايو 1902 م). (كحالة, 1959م ,162/3 - 179, العاملي,2015م , 497- 517).

ثانياً: أسرتها: والدها فقد كان وكيل دائرة محمد توفيق باشا ولي عهد الخديوية المصرية. توفي والدها عام 1289هـ،أي بعد 33 عاما، أما والدتها كانت شركسية الأصل تدعى بـ" ماهتاب هانم", فقد توفيت عام 1285هـ - 1868م. وهي من عائلة علم، وكانت أديبة فاضلةٌ، وحكيمةٌ عاقلةٌ، اختصَّها الله بفصاحة اللسان، وحباها البلاغة والبيان، كانت مغرمة بالافتنان في أفانين البلاغة والنظم المعتدل الأوزان، وهي نادرةُ الفلك، وواسطةُ عقد الدَّهر في نظمِ الشعر, وقد كانت عائشة أختاً للمرحوم العلامة المحقق أحمد تيمور باشا، إلا أنه كان من أم أخرى وهي " مهريار هانم " وهي أيضاً شركسية الأصل وعمة محمور تيمور.((زكي بك, 1947, 2/ 239؛ حنا الفاخوري, 1986م، 129).

تزوجت عائشة السيد الشريف محمود بك الإسلامبولي ابن السيد عبدالله أفندي الإسلامبولي فانتقلت معها إلى الأستانة سنة 1271هـ , وحين توفي زوجها عادت إلى مصر واستقرت بها, وبعد زواجها اقتصرت على المطالعة والإنشاد وتفرغت لأعمال المنزل, وأنجبت عائشة بنتان وولد، أسمت الكبرى منهما بـ " توحيدة "، أما ولدها فقد أسمته بـ"محمود بك", أحسنت عائشة تربية ابنتيها وولدها، فقد أوكلت إلى ابنتها الكبرى " توحيدة" مهام المنزل حتى باتت مدبرته. ولكنها توفيت وهي لم تبلغ بعد من العمر 18عاماً، فحل بعائشة حزن وأسى ثقيلان على فقدانها ابنتها، وتركت العروض والعلوم وأمضت سبعة أعوام متواصلة ترثي ابنتها إلى أن أصاب عينيها الرمد؛ ولم تنفك عائشة عن رثاء ابنتها إلا بعد محاولات مضنية من الأهل والأولاد استمرت سبع سنوات، وبعدها بدأت عائشة بالتوقف شيئاً فشيئاً عن رثاء ابنتها التي كانت مقربة جداً منها ومدبرة منزلها. (قدرية وآخرون, 1952م, 65, زركلي, 1997م, 3/ 240، 241).

ثالثاً: أساتذتها:

الأستاذ إبراهيم أفندي مؤنس، وقد كلف بتعليمها القرآن والخط والفقه, شيخ الخطاطين المصريين فى عهده ورائد النهضة الخطية بها, الغالب انه توفى فى حدود سنة 1318 هـ , خليل أفندي رجائي، وقد كلف بتعليمها علم الصرف واللغة الفارسية, وقصدت عائشة عالمات أيضاً تدرس على أيديهن علوم الشعر وفنونه، ووجدت نفسها عند أديبتين عالمتين هما: فاطمة الأزهرية، وستيتة الطبلاوية، معلمات وزميلات يقرأن الأدب، ويعرفن الشعر، وعلى هاتين الجوهرتين أسست عائشة التيمورية معارفها في الشعر والأدب، واقتبست من أخلاقهما الفاضلة ومعارفهما، ما جعلها بارعة في مجال الأدب والأخلاق، حتى غطت شهرتها شهرة هاتين الأستاذتين الفاضلتين.

رابعاً: اتجاهها الثقافي والأدبي والشعري :

كان الأدب في عصر السيدة عائشة أمراً غير مستحسناً من البنات، فقد كانت والدتها ترفض عزوف عائشة عن دروس الخياطة والتطريز لتتفرغ للكتابة والأدب، وكانت غالباً ما تجبرها على تعلم التطريز، إلا أن إجبار الأم لم يأت بنتيجة إيجابية، فقد كانت عائشة تزداد نفوراً من التطريز كلما ازدادت الأم إصراراً على تعليمها, وقد لاحظ والدها ميل ابنته الشديد لتحصيل الأدب، فكان يقول لأمها: " دعي هذه الطفيلة للقرطاس والقلم ودونك شقيقتها فأدبيها بما شئت من الحكم"(الزركلي: 2002م، 3/ 240، 241 ؛ الطنطاوي, 1998م، 1/ 167- 173؛ العقاد, 1937).

وحين أكملت عائشة تعليمها للقرآن الكريم، توجهت إلى مطالعة الكتب الأدبية وبشكل خاص الدواوين الشعرية. ونهلت من علوم معلميها ما نهلت حتى ارتقى مستوى شعرها إلى أعلى الرتب، وفاقت نساء عصرها في الشعر وعلوم الأدب والنحو والعروض. هذا وقد تولى والدها عهدة تعليم ابنته بنفسه؛ لأنه لم يرغب باختلاطها بالرجال فقام بتدريبها كل ليلة بعد العشاء ساعتين، تارة في كتاب الشاهنامة للفردوسي، وتارة في المثنوي لجلال الدين الرومي، وكلاهما من عيون الأدب الفارسي والتصوف الإسلامي(زكي بك, 1947, 2/ 239).

قسمت السيدة عائشة شعرها إلى خمسة أقسام، فكان منه الغزل والأخلاقي والديني والعائلي وشعر المجاملة، وقد تميز شعرها بكل أنواع الصدق والمشاعر الخالصة، إلا أن شعر الرثاء كان له نصيب الأسد من الصدق والعمق والتأثير وجودة التصوير على حد سواء، ولا سيما رثاؤها ابنتها " توحيدة" التي توفيت وهي في مقتبل العمر، ومما قالته في ابنتها:

أماه قد عز اللقاء وفي غد سترين نعشي كالعروس يسير
وسينتهي المسعى إلى اللحد الذي هو منزلي وله الجموع تصير
قولي لرب اللحد رفقاً بابنتي جاءت عروساً ساقها التقدير

إلى أن تقول:

أماه! لا تنسي بحق بنوتي قبري لئلا يحزن المقبور

ثم تقول:

صوني جهاز العرس تذكاراً فلي قد كان منه إلى الزفاف سرور

وبالنسبة لشعرها الغزلي، فلم يكن منه إلا من قبيل " تمرين اللسان "، وذلك بسبب افتقاد روحها للبهجة والسعادة، وحزنها على ابنتها طال نصيباً واسعاً من روحها؛ مما أثر على شعرها العربي وأضفى عليه صبغة من الحزن والأسى لا تخفى على القارئ والمتذوق. فكان منه: (الزركلي: 2002م، 3/ 240، 241 ؛ الطنطاوي, 1998م، 1/ 167- 173).

فيا إنسان عيني غاب عنها وبدلني به طول المـــلال
عسى ألقاك مبتهجاً معافى وأصبح منشداً أملى صفـالي
لتهنأ مقلتي بسنا حبيـب بديع الحسن محمود الخصال
وأنظم أحرفي كالدر عقداً به جيد الصحائف كان حالي.

كما اســترســلت عائشـــة التيمورية في كتابة الشـــعر بكل ما أوتيت به من مواهب شـــعرية، ليس فقط بالعربية والتركية، بل وبالفارسية أيضـاً، فكان منه أنها في ليلة من الليالي كانت جالسة في حديقة قصـرها تنظر إلى نور القمر وروعة الأزهار، وكانت تمسك في يدها باقة من الورد، وقد كانت تتمعنّها بكل هدوء وسكون وشعر، وإذا بوالدتها تقطع عليها ذلك السكون والتأمل، فتذهب إلى والدتها، وعندما عادت رأت أن باقة ورودها مبعثرة، فقالت قصيدتها بالفارسية وهي:

أيا مهتاب تابنده شكوفه م شد برا كنده ترابخشم خفارتها كدامك كرد بزمرده
جه داغ ! آن داغ جمر آسا جو بينم دسته آزرده

وقد جاء تفسير هذه القصيدة كالتالي:

"أيها القمر الباهر إن باقة وردي تشـتت، وقد كنت وكلتها إليك، فمن الذي بعثرها وشـتتها؟ كلما أرى باقتي مبعثرة هكذا أشـعر في نفسي بحسرة شديدة فوا حرقتاه".

وكان لها من الشعر أيضـا ماً قالته عن زعماء الثورة بعد نفيهم والتنكيل بهم وكان منه:

ظلموا نفوسهم بخدعة مكرهم والمكر يصمى أهله ويحيق
فرقت شمل جموعهم فمكانهم في الابتعاد وفي الوبال سحيق

كما كان لها أيضاً من الشعر:

حبـــذا حلية الطراز أنت من مصر تزهو باللؤلؤ المنظـوم
حلية للعقول لا حلية الوشى وكـــر المنطوق والمفهوم
أنشأته كريمة من ذوات المـــــجد والفخر فرع أصل كريم
شمس علم تأتى القصائد منها ســـائرات في الأفق سير النجوم
كـل بيت بكـل معنى بديـع ما على السركفية من تحريـم
قد أعاد الزمان عائـشة فيها فعاشت آثار علم قديم
هام قلبي على السماع وأمسى ذكرهـا لذتى وفيهـا نعيمـــي
هي فخـر النساء بل وردة في جيد ذا العصر زينت بالعلـوم

أما مؤلفاتها فهي كالآتي:

1.نتائج الأحوال في الأقوال والأفعال: هو كتاب عربي، فيه قصص لتهذيب النفوس، أسلوبه إنشائي وقد تم طبعه سنة 1305هـ - 1888م.

2.مرآة التأمل في الأمور: وهي رسالة باللغة العربية، تتضمن 16 صفحة في الأدب، وقد تم طبعه قبل سنة 1893م.

3.حلية الطراز: ديوان لمجموعة أشعارها العربية، وقد تم طبعه في القاهرة آخرها سنة 1327هـ وأولها قبل عام 1289هـ.

4.شكوفة أو (ديوان عصمت): هو ديوان أشعارها التركية، وهو يحتوي على بعض الأبيات التي قالتها الشاعرة في إبنتها توحيدة، ومن هذا المنطلق ذهب الناس إلى أن هذا الديوان فارسي وتركي، وهو في الحقيقة غير صحيح لأن الشاعرة صرحت بأن أشعارها الفارسية كانت عند ابنتها توحيدة، وقد أحرقتها مع ما أحرقت من مخلفاتها الخصوصية، فمن ذلك نستنتج أنه ليس لها ديوان فارسي مستقل.(الزركلي: 2002م، 3/ 240، 241 ؛ الطنطاوي, 1998م، 1/ 167- 173؛ حلية الطراز، الأميرة قدرية حسين وآخرون، 1952م؛ زكي بك, 1947, 2/ 239).

الخاتمة

في نهاية هذا البحث المتواضع والذي بذلتُ فيه جهداً أرجو منكم القبول ومن الله تعالى الأجر والثواب, تعرفت على شخصيات عظيمات، لهن مكانتهن وتقديرهن فقد فاقت نساء عصرهن في المعرفة والفهم، وسبقتهن بتقدم مطالبها, ووصلتُ إلى النتائج الآتية:

1- شاركت المرأة الكوردية وظهرت في الحياة العامة والمجالات العلمية منذ دخول الكورد في الدين الإسلامي بوجه خاص, وهذا يؤكد على أن المرأة لم تكن كماً مهملاً - كما يزعم البعض - وإنما هي شريكة الرجل، تتلقى معه الخطاب، وتقوم بما ينفعها، ولكن في بعض مواقع وقضايا سياسية وإدارية كانت قليلة الظهور إذا قارناه مع نسبة ظهور الرجال, لأن هذه القضايا تحتاج إلى تجربة وخبرة ودهاء والخروج مع الجيش لمواجهة الأعداء, وهذه الأشياء لا تنسجم مع طبيعة المرأة.

2- إن البيئة الاجتماعية هي دائرة الإنسان الاجتماعي، وهي مرآة الإنسان، فللبيئة الاجتماعية أثر واضح عليهن, لأن البيئة التي أحاطت بكل واحدة منهنَّ هي بيئة مليئة بالكُتاب والشعراء والأدباء, فعلى سبيل المثال: جويرية الهكارية: هي وأبوها وأخوها وأختها، كلهم كان لهم مجالس علم وتحديث .

3- من خلال هذا البحث ظهر أنَّ خير العصور لبروز النساء الكورديات, هو عصر الأيوبيين وما بعده بمائة سنة أو أكثر, إذ هو عصر ظهور الأميرات والمحدثات والعالمات اللاتي كان لهن باع طويل في خدمة المجتمع.

4- كان وراء هجرة علماء الكورد الى مصر وبلاد الشام دوافع دينية وعلمية؛ دوافع دينية لغرض المشاركة في الجهاد ضد الصليبيين ؛ وعلمية لأنهم كانوا رموز علم نشروا العلم والفقه في تلكم البلدان.

5- أنَّ بعض الحواضر والمدن الكوردية, ذات حضارة عريقة تضرب جزورها في أعماق التأريخ البشري, وكانت هذه الحواضر مليئة بالعلماء وطلاب العلم والمساجد والمدارس الدينية, وخرجت منها عدد كبير من الفقهاء والمحدثين والقضاة واللغويين.. وغيرها.

وفي الختام أوصي الباحثين والباحثات بالبحث في بطون كتب التراجم والتاريخ لجمع تراجم أكثر عدد من أعلام نساء الكورد, لغرض جمعه في موسوعة علمية ثمّ نشره فيما بعد, لأن الموضوع لم ينل حضه من الدراسة.

وأوصي المرأة الكوردية إلى الاقتداء بسالفاتهن في العلم والجهد والمثابرة, وتبقى كما عرفها التاريخ جليلة القدر وعظيمة الشأن حتّى تُسجل للأمة تاريخاً مجيداً كما فعلت أسلافها.

المصادر والمراجع

1- ابن أبي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي: طبقات الشافعية، تحقيق د. الحافظ عبدالعليم خان، دار النشر: عالم الكتب/بيروت، الطبعة الأولى، 1407ه.

2- ابن الجوزي: عبدالرحمن ابن علي(ت:597), المنتظم في تاريخ الملوك والأمم, تحقيق: محمد ومصطفى عبدالقادر, الطبعة 1, دار الكتب العلمية – بيروت, 1412ه / 1992م.

3- ابن خلكان, أحمد بن محمد (ت681 هـ), وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر / بيروت، 1970م.

4- ابن رافع: تقي الدين محمد بن هجرس بن رافع السلامي (ت ٧٧٤هـ), الوفيات, حققه: صالح مهدي عباس , د. بشار عواد معروف, الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت, الطبعة: 1، ١٤٠٢م.

5- ابن مفلح: برهان الدين إبراهيم بن محمد(ت: 884ه), المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد, تحقيق: عبدالرحمن بن سليمان العثيمين, الطبعة 1, مكتبة الرشد للنشر والتوزيع – الرياض, 1990م.

6- أبو الفداء: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري (ت: 774 ه), البداية والنهاية, المحقق: علي شيري, الناشر: دار إحياء التراث العربي, الطبعة: 1, 1408ه - 1988 م.

7- أبو المحاسن: يوسف بن تغري بردي جمال الدين أبو المحاسن , النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة, تحقيق: جمال الدين الشيال – فهيم محمد شلتوت, الهيئة المصرية العامة للكتاب, 1392 هـ -1972م.

8- البابيري: حكيم عبدالرحمن زبير البابيري, دور علماء اسعرد في الحركة العلمية في بلاد الشام ومصر خلال العهدين الأيوبي والمماليك البحرية (570-784 هـ / 1175 - 1382 م), مجلة العلوم الانسانية لجامعة زاخو، مجلد:5, العدد:4, كانون الأول 2017م.

9- البرزالي: علم الدين أبو محمد القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي الإشبيلي الدمشقي (ت ٧٣٩ هـ), المقتفي على كتاب الروضتين - المعروف بتاريخ البرزالي, حققه: عمر عبد السلام تدمري, الناشر: المكتبه العصرية - بيروت، لبنان, الطبعة: 1، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.

10- حسين، الأميرة قدرية حسين وآخرون، ديوان عائشة التيمورية، مطبعة دار الكتاب العربي، القاهرة، 1952م.

11- حلية الطراز، ديوان عائشة التيمورية، الأميرة قدرية حسين وآخرون، مطبعة دار الكتاب العربي، القاهرة، 1952.

12- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت, معجم البلدان (ت: 626 ه) الناشر: دار صادر، بيروت الطبعة: 2، 1995 م.

13- الحنبلي، عبدالحي بن أحمد بن محمد العكري : شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب، تحقيق عبدالقادر الأرناؤو ط محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير دمشق، الطبعة: 1, 1406ه.

14- حيدر, إبراهيم: مصطفى أمين حيدر, نوري عبدالرحمن إبراهيم , العلماء المنسوبون إلى هكاري مجلة العلوم الإسلامية- المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث- العدد الأول - المجلد الثاني مارس- 2019م .

15- الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايْماز(ت: 748 ه), سير أعلام النبلاء, تحقق : مجموعة من المحققين بإشارف الشيخ شعيب الأرناؤوط: مؤسسة الرسالة, الطبعة : 3، 1405 هـ / 1985م؛ المؤلف نفسه: معجم الشيوخ المعجم الكبير , المحقق: محمد الحبيب الهيلة: مكتبة الصديق – الطائف, لسنة: 1408 هـ – 1998م.

16- الرباتي: إبراهيم طاهر معروف الرباتي, المرأة الكوردية ودورها في المجتمع الكوردي , مكتبة التفسير, الطبعة: 1, أربيل, 1425 هـ – 2004م.

17- الروزبياني, محمد جميل الروزبياني, دينور ومشاهيرها، ترجمة: محمد الملا عبد الكريم، مجلة المجمع العلمي الكردي، المجلد السادس/ 1978م.

18- الزَّبيدي: محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي تاج العروس من جواهر القاموس, تحقيق: جماعة من المختصين من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت, سنة النشر: (١٣٨٥هـ: ١٩٦٥ م).

19- الزركلي: خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، المجلد الثالث، الطبعة 12، شباط/ فبراير/1997م.

20- زكي بك: محمد أمين، مشاهير الكورد وكردستان في العهد الإسلامي، مطبعة السعادة بمصر، 1366هـ - 1947م؛ المؤلف نفسه: تاريخ الدول والامارات الكردية في العهد الإسلامي, عربه وراجعه محمد علي عوني, مطبعة السعادة, مصر, 1364 هـ – ١٩٤٥م.

21- سبط ابن الجوزي, شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله المعروف بـ «سبط ابن الجوزي» (٥٨١ – ٦٥٤هـ), مرآة الزمان في تواريخ الأعيان, تحقيق: محمد بركات، وآخرون, دار الرسالة العالمية، دمشق – سوريا, الطبعة: 1، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.

22- السخاوي: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد (ت: 902 هـ), الضوء اللامع لأهل القرن التاسع, الناشر: منشوارت دار الجيل–بيروت: 1412 هـ – 1992م.

23- السلفي - الدوسكي، جمع وإعداد حمدي عبدالمجيد /تحسين إبراهيم الدوسكي: عقد الجمان في تراجم العلماء والأدباء الكورد والمنسوبين إلى مدن وقرى كردستان، مكتبة الأصالة والتراث الشارقة، الطبعة: 1، 1429 هـ 2008 م.

24- السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، جلال الدين(ت ٩١١هـ), نزهة الجلساء في أشعار النساء, تحقق: عبد اللطيف عاشور, مكتبة القرآن/ القاهرة, 1986م, المؤلف نفسه: حسن المحاظرة في تاريخ مصر والقاهرة تحقق : محمد أبو الفضل, الناشر : دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي- مصر الطبعة: 1, 1387هـ - 1967م.

25- الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت: 764 هـ), الوافي بالوفيات, تحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى, الناشر: دار إحياء التراث - بيروت: 1420 هـ - 2000 م.

26- الصويركي، د. محمد علي الكوردي: الأكراد الأردنيون : مطبعة وزارة التربية أربيل/إقليم كردستان العراق، الطبعة 2، 2005 م. المؤلف نفسه: معجم أعام الكورد في التاريخ السامي والعصر الحديث في كردستان وخارجها, مطبعة مؤسسة حمدي للطبع والنشر، السليمانية : إقليم كردستان العراق، 2006 م.
27- الطنطاوي: علي الطنطاوي, رجال من التاريخ، دار البشير، مصر، الطبعة الأولى، 1418هـ= 1998م.
28- العاملي: زينب بنت يوسف فواز، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، دار المعرفة، بيروت- لبنان ,2015م.
29- عبد الواحد: محمد بن محمد بن عبدالواحد(ت:630ه), الكامل في التاريخ, تحقيق: أبي الفداء عبدالله القاضـي, الطبعة 2, دار الكتب العلمية – بيروت, 1415ه – 1995م.
30- عبدالمجيد: نادي عبدالله محمد, محدثات مصر وجهودهن في خدمة الحديث الشريف في القرن الثامن الهجري, مجلة قطاع أصول الدين / العدد السادس عشر(.), من صفحة 1803 – 1870.
31- عزيز, صالح أمين عزيز, أعلام علماء الكورد, جامعة السليمانية: مركز كوردستان للتوثيق والدراسات الأكاديمية, الطبعة 1, مطبعة سارا –السليمانية, 2019م – 1441ه.
32- العسقلاني: الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: دار النشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الهند، 1392هـ- 1972م؛ المؤلف نفسه: إنباء الغمر بأبناء العمر, المحقق: د حسن حبشي: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر, ١٣٨٩ هـ، ١٩٦٩ م.
33- العقاد: عباس محمود، شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي، مطبعة حجازي بالقاهرة، 1355-1937.
34- عيسى: علي نجم عيسى, جزيرة ابن عمر من خلال المصادر العربية: من" 200-700هـ/ 815- 1300 م"مجلة دراسات موصلية / مجلة علمية محكمة, العدد (63) / حزيران 2022م/ ذو القعدة 1443ه, من ص 49 إلى 71 .
35- الفاخوري: حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي- الأدب الحديث، دار الجيل، بيروت- لبنان، ط1/1986.
36- القيسي: محمد بن عبد الله بن محمد ابن أحمد بن مجاهد (ت ٨٤٢هـ), توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم: المحقق: محمد نعيم العرقسوسي, مؤسسة الرسالة – بيروت, الطبعة: 1، ١٩٩٣م.
37- كحالة: عمر رضا كحالة, أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام, الرسالة للطباعة والنشر , بيروت 1959م.
38- المدرس، عبدالكريم: علماؤنا في خدمة العلم والدين،عني به محمد علي القره داغي، دار الحرية للطباعة 1983م.
39- مهدي, الشريفي: نجلاء كريم مهدي, بيداء محمد الشريفي, شهدة الكاتبة (ت 574 هـ) قراءة في سيرتها وجهودها في العلوم الدينية, مجلة دراسات في التاريخ والآثار العدد (69) نيسان 2019م.
40- الهاشمي, جليلة ناجي الهاشمي, الإمارة الحسنوية في الدينور والشهرزور 348هـ -(405-406هـ) , مجلة المجمع العلمي الكردي, المجلد الثالث, العدد الاول / 1975م.
41- هروري، د. درويش يوسف حسن: بلاد هكاري (945 هـ - 1336 م) دراسة سياسية حضارية، مطبعة وزارة التربية, أربيل /إقليم كردستان العراق، الطبعة الأولى، 2005 م.
42- اليافعي: أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت ٧٦٨هـ), مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان, الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان, الطبعة: 1، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.
43- يوسف: محمد خير رمضان يوسف, المرأة الكوردية في التاريخ الإسلامي تراجم لأميرات كرديات ومحدثات عالمات, دار القادري للنشر, بيروت - لبنان, الطبعة: 1, 1412 هـ - 1992م.